

باب

ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب

التوحيد وسدّه كل طريق يوصل إلى الشرك

فضيلة الشيخ عبد الله الغريان

رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسدّه كل طريق يوصل إلى الشرك

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد أن المصنف رحمه الله لما بيّن في الأبواب السابقة شيئاً من حمايته ﷺ لجناب التوحيد بياناً عاماً، أراد أن يبين في هذا الباب حمايته الخاصة.

شرح الكلمات:

ولفظ المصطفى: هو المختار.

وكلمة جناب يعني: جانب.

وقوله: ﴿جَاءَكُمْ﴾: أيها العرب، وليس هذا خاصاً بالعرب لما تقرّر أن هذه الشريعة شريعة عامة للإنس والجن كما قال جلّ وعلا في الجن ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [٢٩] قَالُوا يَقُومُونَ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ [٣٠] يَقُومُونَ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ [٣١] [الأحقاف: ٢٩-٣٠-٣١] وقال جلّ وعلا ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

وقوله ﴿مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ يعني من جنسكم وبلغتكم كما قال جلّ وعلا ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا

بِلِسَانٍ قَوْمِيهِ﴾ [إبراهيم: ٤]

وقوله ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ أي شديد عليه جداً.

وقوله ﴿مَا عَنَتُمْ﴾ أي ما يشقّ عليكم ويلحق الأذى بكم من كفر وضلال وقتل وأسر.

وقوله ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي شديد الحرص والرغبة في هدايتكم وحصول النفع العاجل والآجل لكم.

وقوله ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ دون المشركين

وقوله ﴿رَعُوفٌ﴾ بليغ الشفقة.

وقوله ﴿رَحِيمٌ﴾ بليغ الرحمة.

المعنى العام للآية:

المعنى العام لهذه الآية أن الله جلّ وعلا يخبر عباده على سبيل الامتنان أنه بعث فيهم رسولا عظيما من جنسهم وبلغتهم، يشقّ عليه جداً ما يشقّ عليهم شديد الحرص على هدايتهم ووصول النفع لهم، شديد الشفقة والرحمة بالمؤمنين خاصة منهم.

مناسبة الآية لهذا الباب:

وعلاقة هذه الآية بالباب أن هذه الأوصاف المذكورة فيها في حق رسول الله ﷺ تقتضي أنه أنذر أمته وحذرهم من الشرك الذي هو أعظم الذنوب لأن هذا هو المقصود الأعظم في رسالته.

الأحكام:

وهذه الآية تؤخذ منها جملة من الأحكام:

١. أن الرسول ﷺ حذّر أمته من الشرك وسدّ كل طريق يفضي بها إليه.
٢. التنبيه على نعمة الله لعباده بإرسال هذا الرسول إليهم.
٣. مدح نسب الرسول ﷺ فهو من صميم العرب وأشرفهم بيتا ونسبا.
٤. بيان رأفته ورحمته بالمؤمنين، وفي هذه الآية دليل على غلظته وشدّته على الكفار والمنافقين.

قال المصنف رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قُبُورِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»^١. رواه أبو داود بإسناد حسن ورواه ثقات.

شرح الكلمات:

قوله ﷺ { لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا } يعني لا تعطلوها من الصلاة فيها صلاة النافلة وكذلك الدعاء وقراءة القرآن. فتكون بمنزلة القبور حينما تعطلوها ولهذا قال ﷺ أفضل صلاة الرجل في بيته إلا المكتوبة بمعنى أنك إذا صليت الرواتب في بيتك أو أدت أن تتطوع فتطوعت في بيتك فإن هذا أفضل من فعلها في المسجد.

وقوله ﷺ { وَلَا تَجْعَلُوا قُبُورِي عِيدًا }: العيد هو ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان: أي لا تتخذوا قبوري محلّ اجتماع تترددون إليه عندما تريدون أن تقرؤوا القرآن وعندما تريدون أن تصلّوا أو عندما تريدون أن تدعوا.

قال: وَصَلُّوا عَلَيَّ.

ثم قال ﷺ { فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ } معنى ذلك: أي ما ينالني منكم من صلاة يحصل مع قربكم وبعدكم عن قبوري على سبيل السواء، فلا حاجة بكم إلى المجيء إليه والتردد عليه، وقد قال الله جلّ وعلا ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] وقال ﷺ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا^٢.

المعنى العام للحديث:

ومعنى هذا الحديث أن النبي ﷺ نهى عن تعطيل البيوت وعدم إقامة صلاة النافلة فيها والدعاء وقراءة القرآن فتكون بمنزلة القبور لأن النهي عن الصلاة عند القبور قد تقرر عنده. فنهاهم أن يجعلوا بيوتهم كذلك ونهى عن تكرار زيارة قبره والاجتماع عنده على وجه معتاد من أجل الدعاء والتقرب وقراءة القرآن

^١ (صحيح) انظر حديث رقم: ٧٢٢٦ في صحيح الجامع.

^٢ (صحيح) انظر حديث رقم: ٦٣٥٨ في صحيح الجامع

والصلاة لأن ذلك وسيلة من وسائل الشرك وأمر بالاكْتفاء عن ذلك بكثرة الصلاة عليه ﷺ في أي مكان من الأرض لأن ذلك يبلغه من القريب والبعيد على حد سواء فلا حاجة إلى إتيان قبره.

مناسبة الحديث لهذا الباب:

ومناسبة هذا الحديث للباب أن فيه حسماً لمادة الشرك وسدّاً للطرق الموصلة إليه حيث أن القبور لا يصلى عندها ونهى عن الاجتماع عند قبره واعتياد المجيء إليه لأن ذلك مما يوصل إلى الشرك.

الأحكام:

ويُستفاد من هذا الحديث من الأحكام

١. سد الطرق المؤدية للشرك من الصلاة عند القبور ومن الغلو في قبره ﷺ بأن يُجعل محل اجتماع وارتياح وتُرتب له زيارات مخصوصة.
٢. وفيه أيضاً مشروعية الصلاة والسلام عليه في جميع أنحاء الأرض.
٣. وفيه أنه لا خصوصية للقرب من قبره ﷺ.
٤. وفيه المنع من السفر لزيارة قبره وقد جاء النص في ذلك فقد قال ﷺ **لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي هَذَا وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى**.
٥. وفي هذا الحديث أيضاً حمايته ﷺ جناب التوحيد.

³ أخرجه البخارى (٢٩٩/١) و مسلم (١٢٦/٤) و أبو نعيم فى " مستخرجه " (١/١٨٧/٢١) و أبو داود (٢٠٣٣) و النسائى (١١٤/١) و ابن ماجه (١٤٠٩) و الطحاوى فى " المشكل " (٢٤٤/١) و البيهقى (٢٤٤/٥) و أحمد (٢٣٤/٢ ، ٢٣٨ ، ٢٧٨) و الخطيب فى " تاريخه " (٢٢٢/٩) كلهم عن الزهرى عنه .

قال المصنف رحمه الله تعالى وعن علي بن الحسين عليه السلام، أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها، فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ، قال: «لا تتخذوا قبوري عيداً، ولا يئوتكم قبوراً، وصلّوا عليّ، فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم». رواه في المختارة.

شرح الكلمات:

الراوي لهذا الحديث هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ويعرف بزين العابدين وهو أفضل التابعين مات سنة ٩٣ هـ.

وقوله فرجة: يعني فتحة في الجدار المحيط بقبر الرسول ﷺ.

وقوله المختارة: هذا اسم كتاب (...) زائدة على الصحيحين ومؤلفه ضياء بن محمد بن عبد الواحد المقدسي الحمصي رحمه الله.

مناسبة الحديث لهذا الباب:

ومناسبة هذا الحديث للباب أنه يشتمل على النهي عن قصد قبره ﷺ لأجل الدعاء عنده وغيره من القبور من باب أولى لأن ذلك نوع من اتخاذ عيدا وهو وسيلة إلى الشرك.

الأحكام:

ويستفاد من هذا الحديث أمور:

١. النهي عن الدعاء عند قبره ﷺ حماية لحمة التوحيد وإنما المشروع هو أن الشخص يقف عند قبره ويسلم عليه ثم ينتقل إلى قبر أبي بكر رضي الله عنه ويسلم عليه ثم ينتقل إلى قبر عمر ويسلم عليه. أما الدعاء أو الصلاة أو قراءة القرآن عنده فهذه لا تجوز.
٢. مشروعية إنكار المنكر وتعليم الجاهل.
٣. المنع من السفر لزيارة قبر الرسول ﷺ حماية للتوحيد وقبر غيره من باب أولى.
٤. أن الفرض الشرعي لزيارة قبره ﷺ هو السلام عليه فقط وذلك يبلغه من القريب والبعيد على سبيل السواء.

س١: شيخنا سائل يسأل: الرجل الذي يحافظ على الصلوات والصوم وفي ظاهر حاله أنه على الاستقامة إلا أن له حلقات وفي هذه الحلقات يجلس ويدعو الرسول ﷺ ويدعو عبد القادر فما حكم هذا الرجل؟ أو نجد له عذرا بأنه جاهل أم لا؟

ج١: دعاء الرسول ﷺ بهدف جلب نفع أو دفع ضرر هذا شرك أكبر ولا تنفعه صلاته ولا ينفعه صيامه يقول الله جلّ وعلا ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] ويقول جلّ وعلا **أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءَ عَنِ الشِّرْكَ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتَهُ وَشِرْكُهُ** فهذا نزل به منزلة الله جلّ وعلا فلا يدعو الرسول ﷺ من أجل قضاء حوائجه وهكذا لو دعا غيره فالمقصود أن هذا شرك أكبر وأن صلاته وصيامه لا يقبلان منه هذا هو الجواب عن هذا السؤال.

س٢: ؟

ج٢: يقول الرسول ﷺ **ما من مسلم يسلم علي إلا رد الله علي روحي** ° فهو يرد على من يسلم عليه إذا كان في قبره وإذا كان بعيدا فقد وكل الله ملائكة يبلغونه سلام من يسلم عليه. إن كان بعيدا عنه وصلى وسلم عليه فقد وكل الله ملائكة يبلغون الرسول ﷺ هذه الصلاة وهذا السلام ويذكرون اسم الشخص الذي صلى عليه هذا هو الجواب على السؤال.

س٣:

ج٤: الله سبحانه وتعالى غفور رحيم ولكنه أيضا شديد العقاب فكما أنه غفور رحيم فهو شديد العقاب هذا من جهة ومن جهة ثانية أن هذا المنكر قد عمل بحديث الرسول ﷺ **مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ** ° وكان من خصائص خير الأمة الذين قال الله فيهم ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠] أما بالنظر للمنكر عليه فهذا قد عصى الله على بصيرة وقد يعاقب بمعنى أنه يحرم من التوبة يحرم من التوفيق فيموت من غير توبته. ثم إن عمله هذا قد يكون كفرا وقد يكون شركا أو يكون معصية كبيرة من كبائر الذنوب ولا يجوز للإنسان أن يستهين بهذه الأمور بل عليه أن يشكر على الشخص الذي أنكر عليه ويقلع

⁴ أخرجه مسلم (٢٩٨٥)

⁵ رواه أبو داود (٣١٩ / ١) والبيهقي (٢٤٥ / ٥) وأحمد (٥٢٧ / ٢) بإسناد حسن عن أبي هريرة ، وهو مخرج في الكتاب الآخر " الصحيحة " (٢٢٦٦) .

⁶ (صحيح) انظر حديث رقم: ٦٢٥٠ في صحيح الجامع.

عن هذا المنكر ويتوب توبة صادقة وقد قال الله جلّ وعلا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] هذا هو الجواب عن هذا السؤال.

س٤:

ج٤: إن هذه الشريعة كاملة وأن الشخص عندما يريد أن يعمل وسيلة من الوسائل ينظر أهذه الوسيلة تؤدي إلى مصلحة شاملة وسالمة من المفسد أو أنها تؤدي إلى مصلحة راجحة أو أنها تؤدي إلى مفسدة خالصة فوق المصلحة الراجحة أو مفسدة مساوية للمصلحة أو أنها تؤدي إلى مصلحة لكنها تفوت مصلحة أو أنها تؤدي إلى مفسدة فهذه تسع صور إذا نظرنا إلى كونها تؤدي إلى مصلحة خالصة لا إشكال في ذلك أو تؤدي إلى مصلحة راجحة مع تفويت مصلحة مرجوحة فلا إشكال في ذلك هذه ثلاثة.

أو تؤدي إلى مصلحة مساوية فيختار الشخص أحد الأمرين.

أما إذا كانت تؤدي إلى مفسدة راجحة أو أنها تؤدي إلى تفويت أعلى المصلحتين أو تؤدي إلى ارتكاب أعلى المفسدتين أو تؤدي إلى مفسدو مساوية للمصلحة ففي جميع هذه الصور كلها يكون العمل ممنوعا أي عمل كان يعمل الإنسان فلا بد قبل الإقدام على العمل لابد من النظر إلى المال الذي يؤدي إليه وقد ذكرت لكم أن المآلات تسع صور وهذا هو الجواب على هذا السؤال وقلتم أن هذا آخر سؤال في هذا الدرس والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأبلغ سلامي الإخوة.